حرب الاتصالات السلكية واللاسلكية بين ثوار جيش التحرير الوطني الجزائري وقوات ألأمن الفرنسية ١٩٥٤-١٩٥٥

قراءة في وثائق أرشيفية

* د. محمد بليل[١]

مقدمة

اندلعت ثورة التحرير ليلة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ بهجمات لجيش التحرير على المراكز الحيوية والإستراتيجية للإدارة الاستعمارية ومظاهر اقتصادها ،المتمثل في حرق مزارعها وتخريب طرقها وكذا وسائل إعلامها واتصالاتها ، فكان الهجوم على محطة الإذاعة الفرنسية في الجزائر وتخريب الخطوط الهاتفية ونسف الأعمدة التي تحملها من أهم أهداف جيش التحرير ،خلال السنتين الأوليين للثورة،في إطار حربها ضد الإدارة الاستعمارية وقوات أمنها في الجزائر، وذلك من خلال استراتيجية قيادة الثورة المتمثلة في اعتمادها على الوسائل التقليدية، إضافة لسلاح الاتصالات والحرب الإعلامية.

ومن هذا المنطلق فموضوع الدراسة، يعالج إشكالية حرب الاتصالات بين جيش التحرير وقوات الأمن الفرنسية في الجزائر من خلال نموذج الأعمدة الهاتفية ومحطات الاتصال الهاتفي ، ولهذه الغاية تطرح عدّة أسئلة حول طبيعة هذه الحرب والمواقف المختلفة منها :

- ما هي أهمية حرب الاتصالات بين الثوار الجزائريين والقيادة العسكرية والأمنية الفرنسية في الجزائر ؟
- لماذا استهدف جيش التحرير الأعمدة الهاتفية ووسائل اتصالات العدو الرابطة بين مختلف مراكزه القيادية ومصالحة السياسية والاقتصادية والأمنية ؟
- هل نجحت الثورة الجزائرية في بداية معركتها الميدانية في تدمير منظومة الاتصال الفرنسية في الجزائر ؟
- كيف كانت ردود الفعل المختلفة للقيادة السياسية والعسكرية الفرنسية في الجزائر من هذه الحرب السلكية واللاسلكية ؟

ذلك ما سوف نحاول الإجابة عنه في هذه الدراسة عن حرب المواصلات السلكية واللاسلكية بين ثوار جيش التحرير وقوات الأمن الفرنسية في بداية الثورة الجزائرية من خلال وثائق أرشيفية متواجدة بمركز الأرشيف فيما وراء البحر بإكس بروفانس بفرنسا .

---

[١] استاذ محاضر ، جامعة ابن خلدون ،تيارت – الجزائر

١ – أهمية حرب الاتصالات السلكية واللاسلكية بين جيش التحرير وفرنسا الاستعمارية :

أكدت الأحداث التي وقعت في الجزائر صبيحة يوم أول نوفمبر ١٩٥٤ والشهور الثلاثة الموالية لاندلاع الثورة الجزائرية ، بأنها كانت متعددة الجوانب ،في إطار تنظيم ثوري استفاد من تجارب الحروب الثورية التي سبقته بآسيا وإفريقيا ،كحرب التحرير بالهند الصينية وثورات التحرر بمصر والشام والعراق وبلدان المغرب العربي [١].

وأشارت العديد من الوثائق الخاصة بالموضوع [٢] "بأن الأعمال الثورية الأولى التي استهدفت وسائل اتصالات العدو لم تكن أفعالا خاصة لفئة مجرمة و خارجة عن القانون ، و إنما كانت استراتيجية ثورية مدروسة ، استخدم فيها الثوار الجزائريون جميع الوسائل المتاحة من دبلوماسية واقتصادية عسكرية". حيث كانت جبهة التحرير الوطني في ذلك ، تهدف إلى مواجهة أشكال الدعاية والإعلام التابعة للإدارة الاستعمارية في الجزائر، حيث استخدمت قيادة الثورة الحرب الإعلامية ، كوسيلة هامة لإثارة الرأي العام الداخلي والخارجي من خلال إحداث خسائر بمنظومة الاتصالات الفرنسية في الجزائر [٣].

يعتبر الإعلام بمختلف أدواته، ركيزة هامة في بداية أية حرب تقليدية أو ثورية ،وشغل حيزا هاما في العملين السياسي والعسكري للثورة الجزائرية ، حيث تطلب ذلك ،مجهودا إضافيا لقيادة الثورة ،بهدف إيجاد استراتيجية متواصلة في مجال حرب الاتصالات ومواجهة الآلة الإعلامية الاستعمارية الفرنسية بمختلف وسائلها المادية والمكتوبة، المسخرة لخدمة المشروع الاستعماري في الجزائر ،حيث لعبت الصحافة الاستعمارية والحزبية الفرنسية، دورا بارزا في مجال التضليل وتكذيب الحقائق وتلفيق تهم الإجرام والإرهاب للثوار الجزائريين [٤].

---

[١]- جلال يحي ،المغرب الكبير، الفترة المعاصرة و حركات التحرر و استقلال ،، ج ٣، الدار القومية للطباعة و النشر ، ١٩٦٦، صص ١٠٤٢-١٠٦٩

[٢]- Archives Nationale d'Outre Mer(ANOM).Boite 10cab /54 , Evénements D'Algérie Novembre 1954- Janvier 1955

- Benyoucef (BenKheda), **les Origines su 1er Novembre 1954** , Ed Dahlab 1989pp 297-298

[٣] - ANOM.Boite 10cab /54,op cit

[٤] - الزبيري محمد العربي ، تاريخ الجزائر المعاصر ، ج٢ ،منشورات إتحاد كتاب العرب ١٩٩٩ صص ١٧ -١٨

ذلك ما قامت به إحدى النشرات الفرنسية المعروفة بنشرة الوثيقة الاجتماعية الفرنسية[١] ، بنقلها لأخبار عن اندلاع الثورة التحريرية، محللة أسباب اندلاع الثورة ونشأة المنظمة الخاصة وقيام أفرادها بأعمال تخريبية مست جميع المصالح الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر عشية عيد القدسيين، من قبل الخارجين عن القانون أو كما سمتهم أيضا "بالإرهابيين" والفلاقة الآتيين من تونس؛ وذكرت هذه النشرة الفرنسية أخبارا استقتها من أجهزة الاستعلامات وخطاب الحاكم العام في الجزائر و تقارير قادة الجيش وتعليقات الصحف الفرنسية، حول اندلاع الثورة وتداعياتها على الجزائريين والمعمرين .

قامت الحكومة الفرنسية مباشرة بعد هذه الأحداث ،بإصدار قانون حلّ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، اعتقادا منها، أن هذه الحركة وراء هذه العمليات ، رغم أن التحقيقات الأمنية أثبتت في ما بعد ،أن أعضاء المنظمة الخاصة ،كانوا وراء اندلاع ثورة التحرير ، حيث قام الحاكم العام في الجزائر بإرسال أمرية إلى مصلحة التسجيلات، تخص مصادرة مكاتب الحركة وحلّ فروعها في الجزائر[٢] .

وكانت العمليات المسلحة لجيش التحرير في أول الأمر ، تهدف إلى إحداث المفاجأة في صفوف قوات الأمن الفرنسية من خلال استهدافها لوسائل الاتصالات الثابتة ،لسهولة استهدافها وجلب انتباه الجزائريين والمعمرين إلى طبيعة الحركة الثورية التي كانت محل دفاع عن أفرادها ؛ولم تكن في نيتها قتل المدنيين إلا في حالة الضرورة .

وذكرت تقارير الشرطة الفرنسية في مراسلاتها المستعجلة إلى الحاكم العام، تفاصيل عمليات عيد القدسيين لمختلف عمالات الجزائر وبلدياتها المختلفة. ولهذه الغاية كانت مصالح الأمن ،ترسل هي بدورها تقارير عن هذه الأحداث إلى ولاة العمالات[٣]، تبلغهم بمختلف العمليات التي وقعت في الأيام الأولى من شهر نوفمبر ١٩٥٤ .

وكان رد فعل قيادة الثورة ،القيام بنفس الدور الإعلامي ، بنشر أخبار الثورة عن طريق بيان أول نوفمبر وإذاعة القاهرة من مصر وتدمير اتصالات العدو المتواجدة بالجزائر .

---

[١] - ANOM.Boite 10cab /54, gouvernement général des Rapports Adressés par la direction des PTT au gouvernement général à Alger

[٢] -ANOM , rapport concernant l'exécution du Loi de la dissolution du parti MTLD du 13-11-1954

[٣] - ibid , messages Adressé au préfet de Constantine

وأكدت الصحافة الفرنسية هذه الأخبار من خلال أخبارها العاجلة وتعليقاتها وتحاليلها العسكرية والسياسية، تعليقا على أحداث الجزائر الذي بات تعرف بعيد القدسيين ، "إن هذه الأحداث اندلعت في توقيت موحد ما بين منتصف الليل والواحدة صباحا ،إيذانا باندلاع أحداث عديدة عبر التراب الجزائري" [١].

ومما لا شك فيه ، كان هدف هذه العمليات،إحداث المفاجأة لدى العدو بتدمير مصالحه الاقتصادية ووسائل اتصالاته ، المتمثلة في أعمدة الهاتف ومراكز شبكة الاتصالات الأرضية والجوية التي كان يستخدمها الجيش الفرنسي ومختلف مصالحه الأخرى ، كي يقطع عنهم أخبار العمليات ،وهو ما قامت به الأفواج الأولى التي انخرطت في العمليات الثورية بوسائل بسيطة وتقليدية .

كانت هذه الاستراتيجية بداية عمل شاق، تمثل في قطع الاتصالات بين المصالح الإدارية للمستعمرة وقواتها الأمنية ،وهو ما تجلى في تأخر وصول أخبار العمليات الأولى لولاة العمالات والحاكم العام إلا بعد الساعة الثانية صباح أول نوفمبر ١٩٥٤، و يعتبر ذلك إنجازا ناجحا لجيش التحرير الوطني الناشئ عند كثير من الاستراتجيين العسكريين[٢] .

وتحدث أحد جنرالات فرنسا عن هذه الاستراتيجية الثورية ، التي اتبعها جيش التحرير الوطني ضد فرنسا الاستعمارية في الجزائر، خلال تحليله لدوافع وأهداف هذا "التمرد "الذي حدث في عيد القدسيين "،موضحا "أن جيش التحرير الوطني ،قام بانتفاضة بدون حدود ،حيث أظهرت هذه الأحداث يقظة جماهير المسلمين أمام الرأي العام الفرنسي، الذي بات من خلالها ،يطالب حكومته بإصلاحات في الجزائر ؛و أن الثائرين تمكنوا في الأيام الأولى تسيير العمليات العسكرية رغم قلة عددهم"[٣].

إن الثورة الجزائرية استطاعت تحدي وسائل الإعلام الفرنسية من خلال العمل السري المنظم والنجاح في استخدام العمل الإعلامي في العمل الثوري ، لإيصال رسالة جهة التحرير الوطني السياسية وأهداف جيش التحرير الثورية

---

[١] - Echo d'Oran 03-11-1954 et Echo d'Alger 05-11-1954

[٢] -Bernard(Michal), Histoire du Drame Algérien ,T1, 1954- 1956, ed Gremille , Genève , 1971, pp 76-77.
- محمد بليل:"اندلاع الثورة التحريرية بالقطاع الوهراني في الفاتح نوفمبر١٩٥٤:الصعوبات و التحديات " مجلة عصور الجديدة ، تصدر عن مختبر البحث التاريخي ، تاريخ الجزائر ، بجامعة وهران،عدد السادس صيف ٢٠١٢ ، صص ٤٠- ٥٢

[٣] - Général Beaufre : « **le Temps de la Violence** »in Revue Historia Magazine N°201,10 décembre 1971 PP ,225-235

والتحررية والانتصار على دعاية الاستعمار الفرنسي، الذي استخدم جميع وسائل الإعلام المتاحة له، لتظليل الرأي العام الداخلي والخارجي، بنعته للثوار بالمجرمين والخارجين عن القانون .

أشارت العديد من التقارير الاستعلاماتية الفرنسية[١] إلى استراتيجية جيش التحرير الوطني الجزائري في استخدام سلاح الاتصالات ووسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة من نشرات محلية للمناطق وبيانات الوفد الخارجي والتدخل عبر برامج خاصة، بالإذاعات العربية في بداية الثورة ، لمواجهة الترسانة الإعلامية الفرنسية وأجهزة الاتصالات الفرنسية في الجزائر من خلال شهادات حية لمراسلات مصلحة البريد الفرنسية للحكومة العامة ، التي تحدثت عن الخسائر الإصابات المباشرة لأهم وسيلة اتصالية تقليدية ، تمثلت في قطع أعمدة الهاتف باعتبارها إحدى أهم أنواع الاتصالات الأرضية المباشرة [٢]. و القيام بتدميرها و تخريبها ، ريثما يستطيع جيش التحرير امتلاك معدات تكنولوجية وتدريب إطارات في هذا المجال.

٢ – إستراتيجية الثورة في التعامل مع الوسائل السلكية واللاسلكية الفرنسية في بداية الثورة

تعتبر هذه الوسائل جد حديثة ،عرفها العالم منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عندما تمكن بعض المخترعين في أوربا، باختراع المورس والراديو والهاتف والتلغراف . فقد أصبحت هذه الوسائل مهمة في الاتصالات السريعة في العالم وأُقحمت في الحروب منذ الحرب العالمية الأولى،غير أن الثوار الجزائريين افتقدوا لهذه الوسائل الاتصالية في بدايتها ، ومع تطور الأحداث فكرت القيادة بإعداد إستراتيجية إعلامية مضادة، تمثلت في محاربة وسائل الاتصال الأكثر استخداما من قبل الأجهزة المختلفة لفرنسا الاستعمارية في الجزائر التي امتلكت الوسائل الحديثة،لفرض سيطرتها على أوضاع البلاد ،بإدخال تقنيات جديدة[٣]،من خلال استراتيجية عسكرية مغايرة لإستراتيجية الحروب التقليدية في ما يلي :

أ – استراتيجية حرب العصابات للأفواج الأولى لجيش التحرير الوطني الجزائري

[١] - ANOM.Boite 10cab /54 ; rapports concernant les Evénements d'Algérie 1954

[٢] - الغالي الغربي ، فرنسا و الثورة الجزائرية ١٩٥٤ – ١٩٥٨ ، دراسة في السياسات و الممارسات ، غرناطة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ٢٠٠٩ ص ١٣٩

- زهير إحدادان ، **مدخل لعلوم الاعلام والاتصال** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط ٤، ٢٠٠٧ ، صص ٢٠ –٢١

[٣] - الغالي الغربي ، مرجع سابق ص ١٤٠

ورد في دراسة لمجلة الجيش الناطقة بالفرنسية[١] ،مقالا عبارة عن دراسة وافية عن نشأة جيش التحرير الذي انبثق عن اجتماع الستة ، المكلفين بأخذ القرارات المصيرية لاندلاع الثورة ، حيث تم تقسم البلاد إلى خمسة مناطق عسكرية وتعيين قادتها وتأسيس خلايا لجيش التحرير في معظم مناطق البلاد ، حيث ذكر صاحب المقال نقلا عن مصادر فرنسية ، بأن عدد أفراد جيش التحرير المهاجمين كان ٨٠٠ مجاهد ، وقد توفرت هذه المجموعات على ٤٠٠ قطعة سلاح ، بحيث حاولت وسائل الإعلام الفرنسية ؛اعتبار هذه المجموعات ذات طابع إجرامي ، مما جعل قيادة الثورة ترد على ذلك من خلال بياناتها ، بأن جيش التحرير الجزائري مشكل من الشعب الجزائري كله ،و في مقال أخر لمجلة الجيش، تناول صاحبه [٢] ، استراتيجية جيش التحرير في مواجهة العدو والآلة القمعية لقوات الأمن الفرنسية في الجزائر، بتبني خيار حرب العصابات وتدمير الاقتصاد الاستعماري من خلال ضرب مزارع المعمرين وتخريب أشجار الكروم وإعطاب المولدات الكهربائية وقطع خطوط الهاتف ،بمعنى ضرب الأهداف الحيوية والإستراتيجية لحركة القوات الفرنسية ،وكانت مبررات جيش التحرير الناشئ في تبني هذه الإستراتيجية ، تمثلت في عدم التكافؤ بين القوتين(الجيش الاستعمار وجيش التحرير الجزائري).

ومن جهته عبر المؤرخ الجزائري"مناصرية"[٣]عن أهمية حرب العصابات التي تبنها جيش التحرير بضرب مصالح العدو وتخريب منشآته الحيوية ،بما فيها الشبكة الهاتفية التي أصبحت أهدافا مشروعة لجيش التحرير الوطني الجزائري ،وصرح الأستاذ مناصرية على هامش منتدى حول موضوع ،التكوين والتدريب خلال الثورة التحريرية ، مبرزا ما يلي [٤]: " كان جيش التحرير الوطني منظما ومهيكلا وفقا لمتطلبات حرب العصابات لمواجهة عدو يفوقه بكثير من حيث العدة و العتاد."وأشار أيضا إلى أن سر نجاح الجيش آنذاك ،تمثل أساسا في إنشاء جماعات مسلحة تتكون من ١٠ جنود يعرفون الجغرافياومتكونين في حرب العصابات وأضاف أيضا ، أنه

[١]- Miloudi (M) : « 1er Novembre ,Fin D'Une Epoque et Nouvelle Ere » in revue El Djeiche N°201 ; 1989

[٢]- Ouzani Mébarek Tra Séraghni 'A' :« **Stratégie Militaire de la guerre de Libération Nationale** » in revue El Djeiche : pp 30-35

[٣]- مناصرية يوسف:" "**التكوين و التدريب في جيش التحرير الوطني**" منتدى خاص بجيش التحرير الوطني ، نقلا عن بوابة خمسينية الاستقلال الدخول ١١-١١-٢٠١٤

[٤]- نفسه

أمام عدو مدجج بالسلاح ومهيكل جيدا ،اعتمد جيش التحرير الوطني على هذه الجماعات الفعالة، التي كانت تدرك جيدا توقيت الهجوم والتراجع والأهداف الاستراتيجية، التي يمكن إصاباتها دون إلحاق الضرر بالثوار.

ولذلك نستخلص مما سبق الإشارة له ، بأن أبرز الأهداف المنشودة خلال الشهور الأولى لاندلاع الثورة التحريرية ،تمثلت بشكل واضح في تدمير بنية الاتصالات السلكية واللاسلكية لفرنسا الاستعماريةفي الجزائر .

ب- تخريب الاتصالات السلكية واللاسلكية الفرنسية ومنشآتها في الجزائر

لجأ الثوار الأوائل إلى تبني استراتيجية هامة ، تمثلت في قطع مواصلات الإدارة الاستعمارية في الجزائر "السلكية و اللاسلكية "، بهدف إرباكه وجعله ينشغل بإصلاحها وجّره إلى حرب عصابات ،أرهقت جنوده ، حيث استفاد الثوار الجزائريين من مشاركتهم في حرب"الفيتنام" بخبرات عسكرية وأساليب حرب العصابات التي كان يستخدمها الثوار الفيتناميين .

إن قراءة عينات من التقارير الأرشيفية ، تكشف بشكل واضح، إن جيش التحرير الوطني استهدف الأعمدة الهاتفية ، مما نجم عنه رد فعل فرنسي قوي ، ضد السكان الجزائريين والثوار في نفس الوقت، بعد ما أصبحت الأجهزة الأمنية الاستعمارية تتهم جميع الجزائريين الساكنين بالقرب من المناطق المستهدفة بالتواطؤ وتقديم الدعم المادي للفلاقة(الثوار) والخارجين عن القانون ، حسب تعبير هذه التقارير ، حيث تطرح أمامنا عدة أسئلة حول هذا الموضوع :ما هي أهم أهداف جيش التحرير من هذه الحرب ؟ وما هي نتائجها على مسيرة الثورة وتطورها وتحديها للآلة القمعية الفرنسية؟

إن الوثائق المطلع عليها ، هي عبارة عن تقارير ،تناولت الخسائر التي لحقت بمصلحة البريد الفرنسية من تخريب للأعمدة الهاتفية وقطع خطوط الهاتف والاتصالات الجوية والأرضية ،مرسلة للحكومة العامة في الجزائر العاصمة حسب الترتيب الاستعماري للأحداث أو ما بات يعرف بالأعمال الثورية في ما يلي [١]:

- اشار تقرير رقم ٢ بتاريخ٠٢-١١-٥٤ إلى ما يلي :

[١] -ANOM , boite N°10cab /54 gouvernement général, Rapp N° 21 du 15-11-1954

تدمير المنشات الهاتفية ونسفها في مناطق عديدة **بعمالة الجزائر**،حيث ذكر بالتفصيل المناطق التي قطعت فيها الاتصالات منها :

– منطقة ميرابو (ذراع بن خدة)، حيث قطعت جميع الخطوط بها.

– قطع أعمدة وخطوط هاتفية ببرج منايل

– تخريب المواصلات السلكية بكل من كوم بدي مارشال (تادميت)و بمنرفيل (ثنية لحد)

و بعمالة وهران : – تم قطع الاتصالات ما بين تلمسان وبني هندل على بعد ٢٠ كلم من تلمسان وتّم حرق ثلاثة أعمدة هاتفية و نزع ٢٠٠ متر من الكوابل الهاتفية

– قطع الاتصال ما بين مزغران وعين تادلس من خلال قطع عمود هاتفي بينهما

– قطع الاتصال ما بين قرطوفة و ديدوغو diderot

– تم قطع الاتصال ما بين مستغانم وكساني(سيدي علي حاليا) عند الاتجاه المنحرف لبون شليف (سيدي بلعطار) ببوسكي (حجاج)حاليا ،وذكر التقرير أنه تم تصليح العديد من هذه الشبكات الهاتفية

– و بنفس العمالة (وهران) تم قطع و تخريب الشبكة الجوية الخاصة بالطيران ما بين سعيدة و بلعباس مما نجم عنه قطع المواصلات ما بين المدينتين .

و**بعمالة قسنطينة** :تم قطع خطوط الهاتف بعد تخريب الأعمدة الهاتفية بين باتنة وضواحيها خاصة قرية "باستار" **و**خنشلة ولمباز وتمقاد

– وذكر تقرير رقم ٣ مؤرخ بتاريخ ٣–١١–١٩٥٤ الأحداث الآتية :

عمالة الجزائر :تّم تدمير وإعطاب العديد من الخطوط الهاتفية ما بين الجزائر ودلس وتابلاط

عمالة وهران :تّم إتلاف العديد من خطوط الهاتف في منطقة مستغانم بوليس(عبد المالك رمضان) و بيكار (خضراء) ...)حاليا.

– **و**ورد في تقرير رقم ٤ بتاريخ ٤–١١–١٩٥٤ ما يلي :

عمالة وهران :تم قطع العديد من الخطوط الهاتفية والتليغرافية الرابطة ما بين مدن الغرب الجزائري ومدينة وجدة المغربية ، ليلتي ٣–٤ نوفمبر ١٩٥٤

بعمالة قسنطينة تم إصلاح الخطوط الهاتفية من قبل فرق مختصة وبحماية عسكرية .

– و في تقرير رقم ٥ بتاريخ ٥ –١١–٥٤ جاء في ما يلي :

عمالة الجزائر :– انقطاع العمل عن ستة محطات للاتصالات ما بين الجزائر وتزي وزو

– تم تسجيل محاولات قطع ستة أعمدة هاتفية في الجلفة و"زنينة" و "شارف" و تم استبدال أحد الأعمدة المخربة .

عمالة وهران : نزع خطوط من الغرفة الهاتفية "لماردو "mare d'eau (منطقة بوهران) وتّم إصلاحها مؤقتا ، فحين تم تسجيل انقطاع خط أوقاز Oggaz .

عمالة قسنطينة : تم تحييد مجموعة من الاتصالات ما بين باتنة وآريس بسبب التخريب ، حيث تّم توجيه عمال الصيانة لإصلاحها

– و في تقرير رقم ٨ بتاريخ ٧–١١–١٩٥٤، جاء في أيضا :

عمالة الجزائر :تم قطع الاتصالات ما بين الجزائر والبلدية المختلطة تابلاط لأسباب مجهولة وتم تحويل الاتصالات مع المنطقة عن طريق أومال (سور الغزلان).

وبعمالة وهران : تّم قطع الشبكة الجوية الخاصة بالطيران في مناطق عديدة بسعيدة وبالدار الريفية بعين تادلس . وقطع المواصلات ما بين وهران وكناستيل ومناطق أخري ،و قامت المصالح المختصة حسب بيان التقرير بإصلاح هذه الخطوط .

– و ذكر تقرير رقم ٠٩ بتاريخ ٧–١١–١٩٥٤ ما يلي :

بعمالة وهران :تم قطع الشبكة الهاتفية الجوية ما بين مستغانم وكساني عند نقطة بوسكي

– قطع عمود هاتفي ما بين بين "بون شليف" و"بوسكي" وقطع ثلاثة خطوط على بعد ٢ كلم من مفترق الطرق ما بين مستغانم وكساني ومابين مستغانم وبوسكي ،و ّم قطع الاتصال الجوي بنفس المنطقة ، حيث تم العثور على ٦ خيوط هاتفية مابين ١ و٦ كلم عند "بون شليف " ويعتقد حسب التقرير أن هذا التخريب وقع ما بين الساعة ٠ والواحدة صباحا

– أما تقرير رقم ١٠ بتاريخ ٠٨–١١–٥٤،ورد فيه ما يلي:

بعمالة وهران : تّم قطع الكابل الهاتفي لشمال إفريقيا على بعد ٦ كلم من "توران Turenne " (مدينة صبرة حاليا) في ليلتي ٧–٨ – ١٩٥٤ حوالي الواحدة ونصف صباحا، حيث تم قطع جميع الاتصالات مع المغرب الأقصى وانقطاع الاتصالات عن العديد من بلديات المنطقة مثل ندرومة ومغنية ونمور .

عمالة قسنطينة :تم إعطاب الكابل الهاتفي لحمام الباي على إثر هجمات منفذة ضد منشآت منجم النحاس لحمام الباي وتم عزل مناطق لومباز(تازولت) وفم التوب وباتنة وخنشلة وتمقاد عن الاتصالات.

حاول التقرير الموجه للحكومة العامة ،أن يبرز حركية مصالح البريد بأنها قامت بإصلاح جميع الخسائر في اليوم الموالي قبل الساعة ١٧ وتم استغلال شبكة تليغرافية عالية ما بين وهران والدار البيضاء والجزائر والدار البيضاء وأيضا وهران والرباط .

– و ذكر تقرير آخر رقم ١٢ بتاريخ ٠٩ نوفمبر١٩٥٤ : أنه تّم تدمير الكابل الهاتفي الرابط بين الجزائر ووهران وما بين قسنطينة وسكيكدة عند الحروش و بالتالي تم تحويل الاتصال التتليغرافي في هذه المناطق عن طريق مرسيليا .

– وفي تقرير آخر رقم ١٥ بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٥٤، نقرأ الأخبار الآتية :

بعمالة وهران : تّمقطع الخط البعدي الرابط بين وهران وبعض مناطق الغرب وتخريب الخط البعدي بين الجزائر العاصمة وقسنطينة عند نقطة الحروش وأيضا تم إعطاب ٣٠ كابل هاتفي بنفس العمالة.

– **و في** تقرير بتاريخ ١١–١١–١٩٥٤ ، صادر عن **عمالة قسنطينة**، ذكر تخريب الخط الطويل المدى بين آريس ومكاتب منطقة "تفلفال تكور وبروفي ، ليلتي ٨و ٩نوفمبر ١٩٥٤.

– تقرير أخر بتاريخ ١٢ –١١–١٩٥٤:ذكر قطع خطوط الهاتف ببعد ١١ كلم عن البويرة بعمالة الجزائر.

– و في تقرير أخر خاص بعمالة الجزائر ١٠–١٢– ١٩٥٤، ورد فيه ما يلي :أوقفت مصالح الأمن، أحد الأشخاص، الذي حاول قطع الأعمدة الهاتفية ليلتي ١١–١٢–ديسمبر ٥٤

– وفي تقرير أخر مؤرخ بتاريخ ٣١ ديسمبر٥٤ ، صادر عن عمالة الجزائر،ذكر تخريب منشآت هاتفية بالصومعة و قطع عمود هاتفي ببوزريعة.

حاولنا في هذا العنصر، أن ننقل عينات من تقارير مصلحة البريد الفرنسة بالجزائر، المرسلة للحكومة العامة أو ولاة العمالات الفرنسية بالجزائر، تخبرهم عن الأحداث الواقعة بمصلحتها؛ جراء أعمال تخريبية من قبل إرهابيين أو مجهولة الأسباب ، حيث نجد أن الكثير من هذه التقارير ،كانت ذات صلة بالأجهزة الأمنية والعسكرية التي كانت تنزل للميدان ، لكنها لا تعثر على دلائل المنفذين سوى تلفيق اتهامات لبعض الساكنين بالقرب من ميدان الأحداث أو في حالات نادرة ،تذكر هذه التقارير القبض على المهاجمين .

واستمر إرسال هذه التقارير من مصلحة البريد بالجزائر لمدةُ ثلاثة أشهر من نوفمبر ١٩٥٤ إلى جانفي ١٩٥٥، و هي تدل في نظرنا على الإستراتيجية الحكيمة لقيادة الثورة وقدرة ثوار جيش التحرير باستغلال جميع الظروف والإمكانات ،لتنفيذ هذه العمليات رغم قلة عددهم .

وخلال حوارات مع مجاهدين أحياء ،شاركوا في العمليات الأولى لثورة نوفمبر ، أكدوا لنا حقيقة هذا الموضوع ، المتمثل في التركيز على تدمير وسائل مواصلات الإدارة الاستعمارية وأجهزتها الأمنية ، باعتبارها عملا سهلا يمكن تنفيذه في جنح الظلام ، نظرا لقدرات العدو وإرباك قواته بإشغالها بهذه الأحداث من أجل إعطاء بعد شامل للثورة الجزائرية [١].

ووضحت لنا شهادات ودراسات أخرى[٢] معاصرة لهذه الأحداث ، قيام عناصر جيش التحرير بقطع أعمدة الهاتف والكهرباء عن كثير من المناطق ، باعتبار أن هذه التكنلوجيا، كان المستفيد الأول منها ، الأوربيون ومصالح الإدارة المدنية والعسكرية في الجزائر ، وكان الهدف واضحا ، بتأخير تحرك قوات الجيش الفرنسي ومصالحه الأمنية،الأمر الذي سمح لجيش التحرير بالقيام بعمليات نوعية ضد مصالح فرنسا الاستعمارية بالجزائر ، فقد ذكرت إحدى الدراسات المنشورة في مجلة "**مقازين إستوريا** " أنه تّم قطع ١٠٠ عمود هاتفي وكهربائي ، نجم عنه ترحيل قرية بأكملها "[٣]،مما يؤكد أن جيش التحرير، فكر وخطط مبكرا لاستخدام نفس أسلحة العدو ، هذا الأخير الذي حاول التعتيم الإعلامي ونشر البلبلة في صفوف الشعب ،ذلك ما دفع بالجيش الفرنسي إلى تحميل مسئولية هذه الأعمال للمدنيين الجزائريين ، مما نجم عنه التحاق فئات عديدة من الجزائريين بصفوف الثورة وتدعيمها بالمسبلين والفدائيين في إطار تنظيم مدني شبه عسكري على شكل لجان شعبية مسلحة بالدواوير والقرى ، حيث وجد القضاة الفرنسيون أنفسهم أمام جرائم جديدة، لم ترد قوانين عنها وهو ما جعلهم يطلقون صراح الكثير منهم[٤] .

---

[١] - محمد بليل : " اندلاع الثورة التحريرية بالقطاع الوهراني ..."مرجع سابق صص

[٢] - شهادات حية اشارت بشكل مفصل إلى استهداف الأعمدة الهاتفية خلال حصص إذاعية بإذاعة مستغانم خلال استضافتها للعديد من المجاهدين منهم محمد بلحميتي أحد المهاجمين على هذه المصالح ليلة أول نوفمبر ١٩٥٤ ، ينظر لدراسات منها :

- محمد بلحميتي في حوار مع مجلة الظهرة نشرة إخبارية تصدر بولاية مستغانم ، نوفمبر٢٠٠٣، ص ص ١٠- ١١ ،

- محمد بليل ، اندلاع الثورة بالقطاع الوهراني ، مرجع سابق صص ٤٠- ٥٢

[٣] -général Beaufre : « Cent poteaux coupés :Un village déplacé »in Historia magazine ; N° 201 ; 1989 pp 232 -233

[٤] - ANOM , boite N° 5I /54 la rébellion, à Mostaganem

وأمام هذا الوضع اتخذت قوات الأمن الفرنسية ،بالتنسيق مع الإدارة الاستعمارية في الجزائر قرارات استعجاليه للقضاء على حركة التمرد ،حسب المصطلح الأمني الفرنسي ، دون الاعتراف بوجود حركة ثورية مقاومة ، لأن فرنسا ومعمريها كانوا يصرون على الجزائر الفرنسية ،مما جعلهم يدخلون في صراع طويل ضد هذه الحركة الثورية الحديثة النشأة والانتقام منها بأساليب غير إنسانية ولا أخلاقية محملة السكان المسلمين الجزائريين، المسؤولية على هذه الأحداث.

٣ – رد الفعل الفرنسي تجاه استهداف الاتصالات الفرنسية في الجزائر

إن قراءة وثائق بهذا الحجم والأهمية ، إنما تعبر عن مخاوف الإدارة المحلية من الانعكاسات الخطيرة لهذه التفجيرات وضرب مصالح الإدارة الاستعمارية في العمق ، بقطع وسائل الاتصالات التقليدية عنها، المتمثلة في قطع الكوابل الهاتفية وإسقاط الأعمدة التي تحملها بوسائل بسيطة ،وتعداها إلى تفجير الشبكة الهاتفية الأرضية والجوية ، ويدل ذلك أيضا من وجهة نظرنا ، مدى إصرار الثورة على الدخول في حرب حقيقية مع وسائل الاتصالات الفرنسية في الجزائر، مما جعل مصالح الأمن الفرنسية، تتخذ إجراءات عاجلة لمنع ضرب هذه المواصلات السلكية، تفاديا لتأثيراتها على الحياة العامة للمستعمرة الجزائرية من خلال العديد من الإجراءات :

أ – القيام بالحملات الأمنية والاعتقالات العشوائية

أشارت تقارير الحكومة العامة المرسلة إلى الحكومة الفرنسية ،عن الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية في الجزائر لحماية الشبكة الهاتفية، وألزمت مصالح الأمن بحمايتها وتوفير العدد الكافي من الرجال لهذا الغرض ،من خلال مراسلة لرؤساء البلديات حول الإجراءات المتخذة لحماية وسائل الاتصالات منها [١]:

– وضع إجراءات أمنية مشددة .

– البحث عن منفذي هذه الهجمات ، وحسب نص بيان هذه المراسلة، فقد تم توقيف العشرات منهم وقتل العديد من الخارجين عن القانون ، حيث نستخلص من ذلك ،إن قوات الأمن الفرنسية باتت مضطربة للقيام بالاعتقال العشوائي والقتل العمدي لأتفه الشبهات والشكوك، و هي ممارسات قمعية حسب وجهة نظر القانون الدولي .

[١] - ANOM , boite N°10cab /54 gouvernement général, op cit

– تكثيف عمليات البحث ، من أجل اعتقال المجموعات الأولى المهاجمة ليلة عيد القدسيين بمختلف مناطق الوطن وتقديم بعضهم للمحاكمات القضائية، مثل ما ورد في جرائد صدى وهران والجزائر ، حيث حكم على البعض الأخر بالإعدامات منها مجموعة مستغانم[١] والقبض على المجاهد"**زبانة** " في ٠٨ نوفمبر ١٩٥٤[٢].

– استخدمت الحكومة العامة أسلوب الحرب النفسية ،الموجهة ضد أفراد جيش التحرير،بإرسال تقارير لرؤساء البلديات[٣] ،تطمئنهم بأن عدد "الفلاقة" قليل وعناصرهم أقل كفاءة وهم معزولون جماهيريا خاصة بعمالة وهران .

– طلب تقرير أخر[٤] ، من رؤساء البلديات ، ضرورة التركيز على المعاملة الحسنة للسكان المسلمين وإقناعهم بالتعاون معهم في البحث عن هؤلاء المجرمين، مما يدل على المحاولات اليائسة للإدارة الاستعمارية بطلب ود هذه الجماهير المسلمة . وفي نفس السياق ،ذكر تقرير أخر صادر عن والي عمالة قسنطينة[٥] ، الإجراءات المتخذة لحماية المنشآت الهاتفية من التخريب بواسطة قوات أمنية.

ومن هذا المنطلق ، نستخلص من هذه التقارير، قيام قوات كبيرة من الجيش والأمن بملاحقة المجاهدين وحماية المنشآت الهاتفية والكهربائية والمصالح الاقتصادية منها مزارع المعمرين ، حيث أثر ذلك على معنويات الجيش الفرنسي وأدى بجنود الاحتياط الفرنسيين إلى رفض المجيء إلى الجزائر وهروب آخرون فيما بعد أمثال العسكري " مايو" حسب دراسات عديدة تطرقت لهذا الموضوع[٦].

ب – إصلاح وسائل المواصلات وتوفير الحماية الأمنية لها

قامت الإدارة الاستعمارية بإجراءات عديدة في حماية هذه الوسائل من قبل مصالح البريد وقوات الأمن ،من خلال الإشارة إليها في تقارير سرية كالأتي[٧]:

– إعادة ترميم الخطوط بالعمالات الجزائرية على إثر هذا التخريب .

– إصلاح الخطوط البعيدة المدى بعمالة قسنطينة من قبل الجيش ،من خلال تقرير مؤرخ بتاريخ ٦ – ١١–١٩٥٤ ،ذكر بأن المصالح الخاصة، قامت بإصلاح هذه المعدات المخربة ،ويدل ذلك على تدخل الجيش

[١] -Echo (L) Oran mois de juillet 1954

[٢] - ANOM , boite N°10cab /54 gouvernement général, op cit

[٣] - الغالي الغربي مرجع سابق صص ١٥٩-١٦٠

[٤] - ANOM , boite N°10cab /54 gouvernement général, correspondance avec les présidents des communes d'Algérie

[٥] -ibid , Rapport du 07-11-1954 message du préfet au gouverneur général

[٦] - Tramor quemeneur : « les désobéissances des Soldats Français pendant le guerre d'Algérie colloque international les Amis de la Révolution Algérienne , université de Chlef du 17-18 Novembre 2014

[٧] - ANOM , boite N°10cab /54 gouvernement général, Rapport du 15-11-1954

الفرنسي لحماية المنشآت المدنية بعد تطور أساليب جيش التحرير، التي باتت تهدد المصالح الإستراتيجية للمواصلات للإدارة الاستعمارية ومصالح أمنها من أجل إرباك العدو وتأخير تعزيزاته الأمنية و قطع المواصلات عنه ،حتى يتسنى لأفراد جيش التحرير القيام بمهامهم العسكرية .

و ورد في تقرير أخر بتاريخ ٢٨-١١- **1954**الإجراءات المتخذة لإصلاح الخطوط الهاتفية[١]:

- **بعمالة وهران** :تّم إصلاح شبكة الهاتف بواسطة بعض التقنيات الخاصة وعودة الربط الهاتفي بين وهران ونمور (الغزوات)من خلال المصلحة المكلفة بالصيانة المعروفة بLSGD

- **بعمالة قسنطينة** : تّم تعويض الأعمدة الهاتفية المقطوعة في مناطق الأوراس وإصلاح الخطوط الهاتفية من قبل مصلحة البريد وإعادة إصلاح الشبكة الأرضية بين سكيكدة وقسنطينة.

و في تقرير آخر بتاريخ ٢-١١-٥٤ ورد فيه :أنه تم إصلاح الخسائر المسجلة على مستوى الشبكة الهاتفية ، وهو على ما يبدو يعكس لنا ، تخوف الإدارة الاستعمارية في الجزائر من عمليات التخريب المتكررة في بداية الثورة ،حيث قامت بتوفير الأمن للطرقات ووضع حاميات عسكرية لحراسة وسائل الاتصالات ومعظم المراكز البريدية وشبكات الاتصال وأيضا تم وضع حراسة مشددة حول الخطوط التي تربط الجزائر بفرنسا على مستوى البحر وتّم وضع حراسة مشددة في مجال التفتيش والمراقبة على مستوى الأفراد العاملين في وسائل المواصلات السلكية و اللسلكية .

- ورد في برقية مستعجلة حول رد فعل الإدارة الاستعمارية،تجاه مخربي الأعمدة الهاتفية ،بالقبض عليهم ومحاكمتهم واتهامهم بأعمال عدائية لفرنسا،حيث يرجح أن استراتيجية الثورة في هذه الحرب في بدايتها ،تمكنت من إشغال قوات العدو عن عمليات جيش التحرير وتشتيت قواه وإنهاك قدراته المادية والمعنوية .

٤ – النتائج المترتبة عن هذه الحرب على وسائل الاتصال الفرنسية في الجزائر

إن قراءةً متمعنة في هذه التقارير الأرشيفية السرية في حينها ،والتي أصبحت في متناول الباحثين ، تكشف عن حقائق أخرى، أكثر دقة في الصراع والحرب غير المتكافئة بين ثوار جيش التحرير الجزائري ومصالح الأمن وقوات الجيش الفرنسي ، التي زاد عددها بعد اندلاع الثورة المسلحة ، حيث قدمت هذه التقارير[٢] ، حصيلة

[١] - ibid , correspondances avec le service des PTT

[٢] -ibid , plusieurs rapports ont cité les éffets et conséquences de cette guerre

عن المعارك السرية بين الفدائيين والجيش الفرنسي وإدارته بالجزائر ،حيث نجم عن هذه الحرب المعروفة بحرب الاتصالات ، التي فرضها جيش التحرير على الإدارة الاستعمارية وأجهزتها في الجزائر ، نتائج فعالة وأخرى بعيدة المدى منها:

– تخريب وسائل الاتصالات الهاتفية وقطع الاتصال ما بين وحدات الجيش والأمن الفرنسيين ومصالحه الأخرى.

– إحداث المفاجآت وإرباك العدو من خلال إيقاع الصدمة العسكرية وتجنب الضربات القاتلة للجيش الفرنسي .

– اعتبر خبراء حرب العصابات ،أن هذه الحرب رغم بساطتها،هامة على مستوى الإستراتيجية العسكرية في مواجهة الجيوش النظامية وهو ما يمثل نقلة نوعية في إستراتيجية الثوار الجزائريين ،باستخدامهم هذا السلاح ، الذي سيصبح له شأنا عظيما فيما بعد ، عندما تتمكن الثورة من تجهيز نفسها والحصول على المعدات التقنية وتدريب الإطارات في هذه الوسائل السلكية واللاسلكية وتستطيع قيادة العمليات الثورية من تنظيم نفسها وتصبح أكثر شمولية .

– كان رد الفعل الفرنسي على هذه العمليات قاسيا على السكان الجزائريين من خلال محاكمات غير عادلة في حق المتهمين المسلمين ،حسب ما ورد في أحد هذه التقارير ، التي رصدت لنا الحالة النفسية للسكان تجاه الأحداث من خلال بعثهم لرسائل الاحتجاج للسلطات العليا في الحكومة العامة [١] ،بإرغامهم على إعادة تصليح ما خربه جيش التحرير من الأعمدة الهاتفية ومنشآت المواصلات ،مما جعل السكان المسلمين يلجئون لمناطق أخرى،قبل أن تتفطن الإدارة الاستعمارية وتعمل على حصرهم في مناطق محددة بواسطة الحراسة لجعلهم وسيلة ابتزاز لجيش التحرير، كي يتوقف عن تخريب المنشآت الفرنسية .

أما الانعكاسات البعيدة المدى، فجعلت جيش التحرير يستفيد من حرب المواصلات في بداية الثورة إلى تأسيس مصلحة خاصة بنظام الاتصالات وجهاز المخابرات لتجنب رد الفعل الفرنسي وحماية الثورة من الاختراقات الأمنية للمصالح الفرنسية [٢]، وبذلك شكلت حرب الأعمدة الهاتفية التي قام بها جيش التحرير ضد المصالح الحيوية الفرنسية ،بداية صراع آخر مواز لحرب الكمائن وحروب المواجهة المباشرة ، حيث استطاعت الثورة حسب وجهة نظرنا ،ربح المعركة الأولى بوسائل بسيطة تمثلت في نسف الأعمدة وقطع أسلاك الهاتف ،ثم

[١] - ANOM , boite N°10cab /54 gouvernement général ,message de protestation adressé au G/G

[٢] - رابح لونيسي :"الحرب المخابراتية أثناء الثورة المسلحة"مجلة عصور الجديدة ، تصدر عن مختبر البحث التاريخي ، تاريخ الجزائر ، بجامعة وهران،العدد السادس صيف ٢٠١٢ ، صص ١٨٨-٢٠٢

في مرحلة أخرى تّم استخدام هذه الوسيلة في الاتصال بين أفراد جيش التحرير لمواجهة الآلة العسكرية الكبيرة للجيش الفرنسي في الجزائر .

الخاتمة

نستخلص من هذه الدراسة ، أهمية حرب المواصلات السلكية واللاسلكية بين مجموعات جيش التحرير الوطني الجزائري ، وقوات الأمن الفرنسية بمختلف تشكيلاتها ،من خلال مراسلات مصالح البريد الفرنسي ، لتقارير دورية إلى مسؤوليها بالإبلاغ عن الخسائر في البنية التحتية الاستعمارية ،بفعل أعمال إجرامية أو مجهولة أحيانا .

أشارت هذه التقارير ،إلى قوة هذه الحرب خلال الشهور الأولى من بداية الثورة التحريرية ،وقدمت لنا تصورا عاما عن الأوضاع الأمنية في هذه الفترة وأماطت اللثام عن الكثير من حقائق الحرب الدائرة بين الثوار الجزائريين والإدارة الاستعمارية بمختلف هيئاتها ، نجم عنها انعكاسات عديدة على الاقتصاد الفرنسي في الجزائر وأثرت على أوضاع الجزائريين بالأرياف ، نظرا لرد الفعل العنيف لقوات الأمن الفرنسية ، التي كانت تحّملى هؤلاء السكان نتائجها وتتهمهم بتدعيم الإرهاب والمجموعات الخارجه عن القانون .

ونخلص في الأخير إلى أهمية حرب الاتصالات خلال الثورة التحريرية ،التي تعتبر في نظرنا حربا مشروعة ، قام بها جيش التحرير الوطني ردا على الإجراءات والأساليب القمعية لقوات الأمن الفرنسية من شرطة ودرك وجيش ضد الجزائريين في المدن والأرياف من خلال اتهامهم بالتمرد وإثارة الاضطرابات، وبالتالي فحرب الأعمدة الهاتفية التي فرضها جيش التحرير الوطني الجزائري على فرنسا الاستعمارية في الجزائر ، نجحت إلى حد ما في إيصال رسالة قيادة الثورة إلى الرأي العام الداخلي والخارجي بوجود جزائريين ، رافضين للوجود الاستعماري في الجزائر .